كتاب "الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر" والأسلوبية التكوينية*:
قراءة للوعي بالمنهج وتطبيقه عند د/ أحمد ولد الحسن

أ. د. محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم*

إهداء

إلي روح أستاذي وأستاذ جيلي من خريجي
جامعة انواكشوط والمدرسة العليا الأساتذة
في ذكرى رحيله العاشرة، محبة ووفاء لما
أودعه صدورنا، ودعاء له بالرحمة والغفران.

0.0- يسعى هذا البحث في مقاصده النقدية والمنهجية إلى لفت الأنظار إلى دور المرحوم الدكتور أحمد ولد الحسن الملقب جمال في وصف أساليب الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر والتأريخ له، وهو دور رائد في مجاله، لأنه كان أول المنشغلين بهذا الجانب النقدي، وما يطرحه من أسئلة نقدية سواء تعلقت هذه الأسئلة بخصوصية النص الشنقيطي في تعالقه مع النص الشعري العربي، وما يثيره هذا التعالق من قضايا شملت الخطاب الشعري والتأريخ له في علاقتهما بالأدب العربي وتاريخه، أو تعلقت هذه الأسئلة بالمنهج النقدي المتبنى خيارا نقديا لمقاربة نصوص المدونة والتأريخ لها. وما يطرحه هذا الاختيار من قضايا نقدية ومنهجية تهتم بدرجة الوعي

---

*- أستاذ باحث بقسم اللغة العربية/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

* - قدم هذا البحث في اليوم التأبيني لرحيل الدكتور جمال بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في2001/6/21 بمدرج المعرفة.

بالأسلوبية وتطبيقاتها على النص الأدبي وتاريخه مع إبراز إسهام هذا الناقد في تأصيل الأسلوبية التكوينية في التجربة العربية في منتصف الثمانينيات، تاريخ إعداد الراحل لأطروحته بالجامعة التونسية[1] قبل أن ينشرها في منتصف التسعينيات[2].

1.0- ولئن عد الدكتور جمال أول المنشغلين بوصف أساليب النص الشعري الشنقيطي والعاملين على إجلاء ملامح خصوصيته الشعرية في علاقتها بالشعرية العربية بأنساقها وسننها الشعري- فإن القيمة النقدية لهذا الكتاب في-نظرنا- لا تنحصر في أنه **كان مبتدأ للدراسات النقدية الموريتانية الحديثة، الذي خرجت من معطف صاحبه تجربة النقد الأدبي عند أكثر المنشغلين بالنقد والمهتمين بتأصيل مناهجه** في موريتانيا، حيث تتلمذ عليه هؤلاء حينما كان أستاذا بكلية الآداب والمدرسة العليا للأساتذة مطلع الثمانينيات، بل إن القيمة العلمية لهذا الكتاب **تكمن في درجة وعي صاحبه بالأسلوبية وأدواتها وطرائق تفكيرها المنهجي عند تعامله مع النص الشعري الشنقيطي** كما سنبين عن ذلك في حينه.

أولا – كتاب "الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر":

في وصف الأساليب وخصوصية التعالق النصي مع النص التراثي.

---

[1]- هذا الكتاب هو في الأصل أطروحة دكتوراه الدولة ناقشها الراحل يوم 1987/2/27 بكلية الآداب جامعة تونس أ تحت إشراف محمد الهادي الطرابلسي وتألفت لجنة المناقشة من الدكاترة محمد اليعلاوي (رئيسا) ومحمد الهادي الطرابلسي وعبد القادر المهيري وحمادي صمود ومحمد الهادي الشريف (أعضاء) وقد منحت اللجنة المترشح شهادة دكتوراه الدولة بتقدير "مشرف جدا.

[2] – ظهرت هذه الأطروحة عن منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، عام 1995.

1.1- للوقوف على إحدى أهم مدارك **الوعي النقدي** عند أستاذنا الراحل د.جمال ولد الحسن، التي أظهرت فهما عميقا لأطروحة الأسلوبية التكوينية وتمكنا من أدواتها المنهجية من أجل أن تتلاءم هذه الأطروحة وتفكيرها المنهجي مع موضوع دراستها - يمكن أن نتعرض لبعض **الأفكار النقدية التي أوردها الناقد في المدخل النقدي للكتاب**، قبل أن يشرع في وصف أساليب الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر وخصوصية تعالق هذه الأساليب ونصوصها مع ما يسميه **بالتراث الشعري العربي وأنساقه الشعرية**. وهي الخصوصية التي سنتخذها مثالا لإظهار إسهام د.جمال في تعميق الوعي النقدي العربي بالأسلوبية التكوينية في التجربة العربية من جهة، ولإظهار جانب من فهم هذا الناقد للأسلوبية عند تبنيها خيارا في التعامل مع خصوصية النص الشعري الموريتاني القديم من جهة أخرى.

2.1- يتألف كتاب"الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة في وصف الأساليب" من مدخل وثلاثة أبواب، خصص المدخل لعرض موضوع الدراسة والمنهج المتبع خيارا لوصف أساليب نصوص المدونة وتأريخ لها، وقد أعلن الناقد تبنيه في هذا المدخل **للأسلوبية التكوينية خيارا نقديا** لدراسته **نصوص مدونته** التي "تضم ثلاثة عشر ديوانا لثلاثة عشر شاعرا عاشوا كلهم في بحر القرن الثالث عشر الهجري (1200هـ-1784م/1300هـ- 1882م) وقد قاربت المدونة خمسة عشر ألف بيت"[1]، ويصرح المؤلف **بالاستفهام** الذي ينطلق منه مشروعه النقدي، فيقول إنه "إستفهام نقدي أملته علينا معاشرة نصوص المدونة، مداه البحث عن مظاهر

---

[1] - محمد عبد الحي، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، مجلة الزمن، العدد 3، مارس 1987، ص27

الائتلاف والاختلاف بين أساليب شعراء مدونتنا، ثم التوق إلى ايجاد **صياغة نظرية** تستوعب هذا الائتلاف والاختلاف وتسمح بالسعي إلى تأويل نتائجه تأويلا يرفد الدراسات العامة المتعلقة بتاريخ الشعر العربي ونقده"[1].

3.1- انطلق الناقد – في بحثه عن **المؤتلف والمختلف** بين أساليب الشعر الشنقيطي-من التركيز على "الخطاب الشعري في خصائصه الأسلوبية وهياكله الفنية الدالة، متبعا بذلك منهجا شكلانيا محضا"[2]، لقناعته النقدية "**بأن دراسة الشعر دراسة شعرية محضة وإخلاص الوجهة لخصائصه الفنية، هما ولا شك أمثل طريق لوضع اليد على مفتاح خصوصيته وتعريف شعريته فأدبيته، مما أثبتته البحوث النظرية والتطبيقية المتواترة**"[3].

فالاهتمام بوصف الأساليب الشعرية لشعراء المدونة عند د. جمال، هو المدخل الأسلوبي لإبراز شعرية نصوصه ومقومات أدبيتها، كما أن تركيزه على وصف أدبية هذا الشعر وشعريته لم يمنعه من ربط هذا الوصف للأساليب وشعريتها بالنسق التاريخي الذي أنتجها، بالتركيز على العلاقة ما بين المكونات الأدبية للنص، التي عمل الناقد على وصفها، وبين السياق المنتج لها، فهذه العلاقة – في نظرنا- يقول د. جمال هي "شرط تحول دلالة الأدب من حيز القول إلى حيز الفعل، **فلا مجال في رأينا للجدال في خصوصية الأدب وأن هذه الخصوصية لغوية شكلية بالأساس، ولا مجال**

---

[1] – أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث الهجري، مساهمة في وصف الأساليب، ص27

[2] – نفس المرجع، ص 30

[3] – أحمد ولد الحسن، المرجع السابق، ص 30

كذلك للجدال في أن هذه الخصوصية إنما تكون في سياق تاريخي عام، به تتحدد ولدوافعه تستجيب وفيه تؤثر و إليه تريد"[1].

1.3.1- وقد انشغل د. جمال بنوعية العلاقة ما بين الأساليب ومكوناتها والسياق الذي أنتجها من زاوية محددة تتعلق بعلاقة النصوص الموصوفة بنصوص سابقة لها من التراث الشعري العربي، وطرائق توظيف هذا التراث، مغيرا بذلك وجهة المنهج التكويني من البحث عن علاقة الأبنية الأسلوبية والنصية بالأبنية الاجتماعية المنتجة لها إلى علاقة هذه الأبنية الأسلوبية بمكوناتها المختلفة بالأبنية الثقافية المنتجة لها، نظرا لخصوصية السياق الثقافي والاجتماعي المنتجين لمدونة الشعر الشنقيطي والمحددين لأدبية وشعرية نصوصه.

2.3.1- هذا التغيير في وجهة العلاقة ما بين المكون الأدبي ومرجعه الاجتماعي إلى وجهة جديدة تقيم العلاقة مع المرجع الثقافي بالأساس وتبحث عن علائق النصوص الشعرية ومكوناتها بالمرجع الثقافي ونصوصه وسننه الشعري، عبر عنه المرحوم بقوله "حتى إذا اتسقت لنا بالوصف الأسلوبي المقارن أوجه العلاقة المتشابكة بين الدواوين المتعددة المتكونة منها مدونتنا كان ذلك مدخلنا إلى التساؤل عن تأويل لنتائج ذلك البحث الشكلي بمنهج تكويني لعله يختلف عندنا عن المتعارف من مدلول هذا الوصف في الدراسات الشائعة، إذ سنتساءل عن علاقة نصوص المدونة بنصوص سابقة لها من التراث الشعري العربي وعن طريقة توظيف المدونة للتراث

---

[1] - نفس المرجع، ص30

في سياقها التاريخي الثقافي الخاص، بدلا من التساؤل عن علاقة مسطحة منمطة بين النص وسياقه التاريخي مباشرة"[1].

3.3.1- والذي يبدو لنا "**أن تحويل** د. جمال دراسة علاقة نصوص مدونته بمرجعها الاجتماعي إلى دراسة علاقتها بمرجعها النصي الثقافي ووصفه للعلاقة الأولى **بالسطحية والنمطية** وتركيزه على الثانية بمستوياتها الأسلوبية الشعرية – **هذا التحييد** إنما يعود في نظرنا إلى أمرين"[2]، سبق أن تعرضنا لهما في كتابنا "الشعرية التاريخية وأدبية الأدب الموريتاني: قراءة لظهور الأنواع والأشكال الأدبية":

ـ يتعلق الأول منهما "**بموقف النقاد العرب من الأسلوبية التكوينية** الذي بدأ – مع منتصف الثمانينيات وهو الزمن الذي أعد فيه د. جمال دراسته – يشهد وعيا جديدا بضرورة مراجعة فهمنا النقدي لأطروحة هذا المنهج وتطبيقاته النصية، **وهو الوعي الذي سيدفع بتجربة النقد الأسلوبي العربي وتطبيقاتها إلى مجالات أسلوبية متنوعة ومتعددة الروافد**، منها الأسلوبية السيميائية والأسلوبية الإحصائية والأسلوبية الشعرية وأسلوبية التلقي وغيرها من الروافد التي غذت النقد العربي في التسعينيات ونشطت دوائر حواره"[3].

ـ وثانيهما يتعلق **بأدبية نصوص الشعر الشنقيطي وعلاقتها بالمرجع** حيث "يمكن القول إن المتأمل لأدبية هذه النصوص وآليات القول الشعري

---

[1] – نفس المرجع، ص30

[2] – محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم، الشعرية التاريخية وأدبية الأدب الموريتاني: قراءة لظهور الأنواع والأشكال (مساهمة في التاريخ للأدب الموريتاني من منظور الشعرية) الكتاب الأول، تقديم د. محسن جاسم الموسوي، دار الأمين القاهرة 2001، ص 36

[3] – نفس المرجع، ص 36

فيها، وما تقوم عليه هذه الأدبية من خصوصية شعرية وبلاغة قول – يلاحظ **أن مرجع دوال هذه الأدبية ومدلولاتها وشعريتهما، ليس مرجعا خارجيا منفتحا على الواقع الاجتماعي الذي أنتجه إلا في نصوص نادرة من مدونته، وإنما هو مرجع داخلي منفتح على ثقافة الشاعر اللغوية والشرعية**[1]، ومن هنا كان تعالق النص الشعري للشنقيطي مع الشعر العربي وثقافته العربية الإسلامية تعالقا بلاغيا خاصا " فالشاعر يبني صوره ويركب لغتها ويبني مجازاتها بتوظيفه لخبرته الشعرية بمدونة الشعر العربي القديم من جهة، ومعرفته بالثقافة العربية الإسلامية من جهة ثانية، **منتهيا في ذلك سننا من القول الشعري لا تستند أدبيته إلى مرجع تجربته الاجتماعية وإنما إلى مرجع تجربته الثقافية**"[2].

4.3.1- **هذه السمة البلاغية** التي طبعت أدبية هذا الشعر وحكمت شعريته جعلت منه **شعرا مغلقا على مرجعه الداخلي**، من حيث أنه لا يوظف معطيات الخارج (المحيط الطبيعي والاجتماعي) في الإبانة عن معانيه الشعرية وبناء مجازاته وصوره الشعرية إلا بمستويات من الحضور ضئيلة لا نكاد نلمس من خلالها دورا كبيرا لأثر **المرجع الاجتماعي في أدبية هذا الشعر وشعريته**، الأمر الذي جعل مرجع هذه الأدبية **مرجعا تراثيا ثقافيا بالأساس**، يعول الشاعر فيه على استحضار مخزون التجربة الشعرية العربية السابقة عليه وثقافتها العربية الإسلامية في الإبانة عن معانيه و صياغة نصوصه الشعرية.

---

[1] – نفس المرجع، ص 36

[2] – نفس المرجع، ص 36

ومن هنا كان الشعر الشنقيطي شعرا منفتحا على الموروث الشعري العربي القديم وثقافته العربية الإسلامية (المرجع الثقافي) متعالقا مع النص الشعري وثقافته تعالقا نصيا حميما"[1] وهو التوجه الذي وجه المهتمين بدراسة نصوص هذا الشعر إلى العناية بظاهرة التعالق النصي[2] ما بين نصوص مدونة هذا الشعر والشعر العربي القديم.

5.3.1- لهذين السببين الآنفي الذكر جاء تغير وجهة دراسة العلاقة ما بين النص ومرجعه الخارجي في الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري لمرا يدفع إليه -في نظرنا-أي تعامل نقدي مباشر مع نصوص هذه المدونة، واع بما تتسم به "أدبيتها" من خصوصية شعرية أنتجها شعراء هذا القرن وألفها وتعاطاها متلقوه إلى فترة قريبة من قيام الدولة الوطنية ممثلة بذلك جمالية من القول الشعري ونمطا من الألفة الشعرية في تلقيه، تداولها منتجو وممستهلكو الشعر العربي في بلاد شنقيط منذ القرن الثاني عشر الهجري إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، باعتبارها سننا من القول الشعري يحتذي وأفقا شعريا يتوقع، وجمالية من التلقي تتداول"[3].

إن مثل هذا التعامل الذي أقامه د. جمال مع مدونته الشعرية المراعي لدرجة تلاؤم المنهج النقدي المتبني، مع طبيعة النص الأدبي المدروس

---

[1] – محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم، مرجع سابق، ص 37

[2] – من الدراسات المنشورة التي اهتمت بهذه الظاهرة الكتب التالية:

أ- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر لأحمد ولد الحسن مرجع مذكور سابقا.

ب-المعارضة في الشعر الموريتاني لعبد الله بن محمد سالم، المعهد التربوي انواكشوط 1995

ج- الشعرية التاريخية وأدبية الأدب الموريتاني لمحمد الأمين ولد مولاي ابراهيم مرجع مذكور سابقا

[3] – محمد الأمين ولد مولاي ابراهيم، المرجع السابق، ص37

وخصوصيته الأدبية- يكشف في نظرنا- عن درجة من الوعي النقدي عند هذا الناقد بالمنهج وأدواته تستحق أن تدرس ويكشف عن قيمتها النقدية في علاقتها بسياق تأصيل الأسلوبية في التجربة العربية.

ثانيا ـ "كتاب الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر": في السياق النقدي لظهور الكتاب.

1.2- لا تقتصر القيمة النقدية لكتاب "الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر: مساهمة في وصف الأساليب" للدكتور جمال على ما أبان عنه التحليل سابقا من وعي نقدي بالنظرية والمنهج ومستوى تعامل الناقد معهما عند تبنيه "للأسلوبية التكوينية"[1] خيارا نقديا لوصف أساليب الشعر الشنقيطي والتأريخ له فحسب، بل إن ترهيننا لهذا الوعي بربطه بالتجربة العربية، سيضيء لنا مظهرا آخر من مظاهر القيمة النقدية لهذا الكتاب، وإسهام صاحبه في تأصيل "الأسلوبية التكوينية" وتطبيقاتها في التجربة العربية، هذا الترهين للوعي بالمنهج وأدواته يمكن أن يتم، بتحديدنا لزمن تأليف الكتاب من جهة، وموقعه في سياق تأصيل المنهج الأسلوبي في التجربة العربية من جهة ثانية.

2.2- تنتمي هذه الدراسة بحكم تاريخ مناقشتها في فبراير 1987 بكلية الآداب بتونس – إلى الدراسات والبحوث المتخصصة التي أعدتها وألفتها مجموعة من النقاد والباحثين الشباب حينها المنتمين إلى الجيل الثاني من النقاد والباحثين العرب المتخرجين من بعض الجامعات الغربية والعربية والمنشغلين بالمناهج النقدية الحديثة وتطبيقاتها. وهو الجيل الثاني بعد

---

[1] - حمادي صمود، في نظرية الأدب عند العرب، النادي الأدبي الثقافي بجدة 1990، ص196

جيل الرواد الذين بدأت معهم لحظة الوعي الأولى بهذه المناهج واكتشاف قيمتها النقدية وما تحصله من معرفة عن النص الأدبي مباينة للمناهج النقدية التقليدية السائدة يومها.

فقد شهد النقد العربي مع جيل الرواد في مطلع السبعينيات من القرن العشرين بداية تغير ملحوظ شمل النظرية والمنهج، وهو تغير أخذت تتضح ملامحه من خلال مجموعة من المؤلفات والبحوث التي ألفها وأعدها رواد هذا التوجه من النقاد العرب حينها، في نطاق تأثرهم وتمثلهم للمناهج النقدية الحديثة، وكان لهذا التغيير إسهامه الفعال في تغير الأدوات المنهجية لهؤلاء وطرائق تفكيرهم المنهجي بفعل تأثر هؤلاء الرواد ببعض المناهج النقدية التي إطلعوا عليها في أثناء تكوينهم الأكاديمي.

وقد مثلت هذه الكتب والدراسات يومها توجها جديدا في الساحة النقدية العربية، وعلامة أخرى على بوادر تحرر هذا النقد من آليات النقد التقليدي المدرسي المسيطر على المؤسسات الأكاديمية الوثاقافية الرسمية.

3.2- وإذا كانت السبعينيات قد مثلت ما أسميناه بلحظة الوعي الأولى بالمناهج النقدية الحديثة وخاصة منها البنيوية والأسلوبية، على يد جيل الرواد – فإن منتصف الثمانينيات كانت اللحظة الثانية لهذا الوعي، التي عمقت فهم هذه المناهج وتأصيلها في التجربة العربية، وعملت على بلورة مدارك جديدة لهذه المناهج وخاصة الأسلوبية منها على يد الجيل الثاني من النقاد والباحثين العرب، الذين تتلمذوا على جيل الرواد وتمثلوا أطروحة الأسلوبية وتفكيرها المنهجي بتتلمذهم على هؤلاء، واستيعاب البعض منهم لمستجدات البحث والدراسة في الحقل الغربي، فكانت بذلك هذه اللحظة "مرحلة جديدة في تعامل النقاد العرب مع الأسلوبية نقدر أنها امتدت من منتصف الثمانينيات إلى بداية التسعينيات وتميزت بانتصاب الأسلوب مبحثا

واسع الانتشار في النقد العربي، ثابت الأركان، متبوئا مكانة متميزة من وجوهه الجديدة"[1].

1.3.2- ينتمي إذن د. أحمد ولد الحسن للجيل الثاني من النقاد العرب المتشغلين بتأصيل الأسلوبية في التجربة النقدية العربية، وهو الجيل الذي عمل على تعميق الوعي النقدي بالأسلوبية وتطبيقاتها في هذه التجربة من خلال انشغاله "بالصعاب التي تقف دون الأسلوبية التطبيقية"[2]، وما يترتب على هذا الفرع من تقييم للنصوص الأدبية وتاريخها تقييما وفهما جديدين، يعيدا النظر في علاقتنا بنصوص الأدب العربي وتاريخه.

فالأسلوبية في مشغلها النقدي هذا، بحسب عبارة حمادي صمود "تهيئنا علميا ومنهجيا إلى إعادة النظر في تقييمنا لعصورنا الأدبية، فلقد أجمعنا أو على الأصح أجمع غيرنا وأذعنا، على دفن أطول فترة من تاريخنا الأدبي. دفنا الجسم دون الرأس والذنب وعلقنا ذلك بكلمتين غلقتا دوننا المنافذ إلى ذلك، هما كلمتا الانحطاط والجمود، إن مراجعة جديدة للمقاييس التي رسمت على أساسها حدود هذا التقسيم لكفيلة برفع الغبن عن تجارب أدبية وفنية هامة"[3] وهذا ما نراه تهيأ للمرحوم جمال عند اشتغاله علي مدونة الشعر العربي في بلاد شنقيط و انشغاله بتاريخها الأدبي.

---

[1] - محمد الناصر لعجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد علي الحامي صفاقس، تونس 1998، ص198

[2] - حمادي صمود، مرجع مذكور سابقا، ص202

[3] - نفس المرجع، ص202

2.3.2- لقد ساهمت عوامل ثقافية ونقدية عدة في رفد التجربة الأسلوبية عند د. جمال ولد الحسن وفي تعميق فهمه لأطروحتها النقدية والمنهجية من أهمها تتلمذه على رواد الأسلوبية العربية في تونس الذين مثلوا إحدى[1] أنشط حلقات البحث والتأليف التي عمقت الفهم النظري والمنهجي للأسلوبية العربية.

وقد كان د. جمال بحكم انتمائه لهذه الحلقة النقدية وتقاليدها وبفعل انشغاله بما يمكن أن تمده به الأسلوبية التطبيقية والتكوينية من معرفة وتصور عن الشعر الشنقيطي وتاريخه- من المساهمين في تأصيل الأسلوبية العربية، لا بتبني الأسلوبية خيارا نقديا في مقاربة النصوص والتأريخ للأدب والعمل على إغناء فعل التراكم في هذا المجال، وإنما أيضا في نوعية تعامل هذا الناقد مع أطروحة هذا المنهج وتفكيره المنهجي باعتباره تعاملا ينتمي إلى موقع المحاور المتحرر من سلطة الأطروحة وتفكيرها، عند تبنيها خيارا نقديا لمقاربة النصوص والتأريخ للأدب.

3.3.2- لقد لاحظنا سابقا عند تعرضنا لأهم الأفكار النقدية المؤسسة للمدخل النقدي للكتاب، أن الدكتور جمال ينطلق في وعيه بالأسلوبية كمنهج لمقاربة النصوص والتأريخ للأدب - من موقف نقدي لهذا المنهج، يتعامل مع أطروحته وتفكيره المنهجيين تعاملا يراعي خصوصية النص المدروس والسياق المنتج له، متمسكا بمبدإ الملاءمة ما بين المنهج والنص دون أن

---

[1] - مثلت حلقة الأسلوبية التونسية إحدى أهم حلقات الأسلوبية العربية النشطة التي كان لأصحابها دورهم الريادي والمتميز في تأصيل هذا المنهج النقدي في النقد العربي منذ السبيعنيات، وقد كان لتتلمذ جمال على كل من عبد السلام المسدي، ومحمد الهادي الطرابلسي وعبد القادر المهيري وحمادي صمود وغيرهم من الأسلوبيين التونسيين الرواد دوره المبكر في تعميق الوعي النقدي الأسلوبي عند الراحل.

يظل أسيرا لسلطة هذه الأطروحة، فيصدر بذلك عن موقف نقدي متحرر من سلطة المنهج المعززة لطرحه المدرسي الأول والمانعة لتطور نظريته وإغناء تفكيره بطراد، بفعل تنوع تطبيقات كل منهج وفقا لخصوصيات النص الثقافية واللسانية الناشئتين عن انتمائه لتكوينات اجتماعية وثقافية مختلفة.

1.3.3.2- إن صدور د. أحمد ولد الحسن عن مثل هذا الموقف النقدي من المنهج الأسلوبي في التجربة العربية، تمكن ملاحظته من خلال التطبيق المنهجي لأطروحته، وتمكن الناقد من الأدوات المحققة لها، حيث أظهر وصفه الأسلوبي لأساليب الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري في

الباب الثاني المعنوي بـــ"في النص"[1] تركيز الناقد على السمات الأسلوبية المحققة لأدبية الشعر الشنقيطي والمميزة لشعرية بعض نصوصه في تعالقها مع التراث الشعري العربي القديم، وهو جهد نقدي يبرز في-نظرنا- القيمة العلمية والنقدية لهذا الجهد المتمثلة في البعد التطبيقي للأسلوبية من جهة، وتعريف القرئ العربي بأساليب الشعر الشنقيطي من جهة أخرى، ذلك أن التعريف بالأدب العربي وتاريخه لم يرتبط في أحيان كثيرة بالنصوص باعتبارها مدخلا للتعريف بملامح تنوع هذا الأدب في فضاءاته العربية المختلفة وأزمنتها الثقافية المتعددة، وهذا ما تفطن إليه المرحوم أحمد ولد

---

[1] - أخذ هذا الباب من الكتاب أكثر من نصف صفحاته (155-365) بينما أخذ الباب الأول المعنون ب" في السياق" (33-129) والباب الأخير المعنون ب"في النص والسياق"(373-413) صفحات النصف الثاني من الكتاب.

الحسن (جمال) في تعريفه بالشعر العربي في بلاد شنقيط في القرن الثالث عشر الهجري، وتقديمه للقارئ العربي في الفضاء الأكاديمي والثقافي.

2.3.3.2- ولا تقتصر القيمة النقدية لهذا الجهد في البعد التطبيقي للمنهج فحسب، وإنما أيضا في فهم الناقد لأطروحة المنهج وطرائق مقاربته للنص، فقد لاحظنا سابقا تصرف د. جمال في طرائق مقاربة الأسلوبية التكوينية للنص عند تحييده لعلاقة النص بالمرجع من علاقة بالأبنية الاجتماعية إلى علاقة بالأبنية الثقافية، معتبرا أن ما أظهره الوصف الأسلوبي لنصوص مدونة الشعر الشنقيطي من إنغلاق هذا الشعر على مرجعه الداخلي في أبعاده التعبيرية عن مضامينه وفي تحقيقه لشعرية قوله الأدبي، يدفع الناقد الباحث عن علاقة النص بمرجعه إلى الاهتمام بهذه الخاصية الأسلوبية، من فهم للأسلوبية التكوينية خاص، يبحث عن نمط العلاقة بين الأساليب ومرجعها، يستند إلى خصوصية نص الشعر الشنقيطي وسياقه الثقافي الخاص، ويتحرر من الفهم النقدي المدرسي لنمط العلاقة، الذي أقره المنظرون الأوّل للأسلوبية التكوينية وهو في ذلك يصدر عن ذهنية نقدية واعية بالأطروحة النقدية ومتحررة من سلطة تنظيرها النقدي و تفكيرها المنهجي.

3.3.3.2- إن مثل هذا الوعي بالمنهج الأسلوبي التكويني المراعي لخصوصية النص المدروس في علاقته بالمرجع، والحريص على مبدإ الملاءمة بين المنهج والنص – يكشف لنا عن درجة من الوعي بالمنهج وأدواته تقوم على التحرر من سلطته الدافعة إلى تطبيقه بشكل آلي دون مراعاة ملاءمته مع خصوصيات النصوص وسياقاتها الثقافية المختلفة، مما يعني – في نظرنا – انتماء الدكتور جمال إلى موقع فئة النقاد العرب المغيرين لمواقعهم التقليدية "المكتفية في كثير منها بالتقبل وإعادة الإنتاج

إلى مواقع جديدة تتأسس على النقد والحوار في صياغتها لخطابها النقدي المستلهم والمستفيد من خطاب الآخر"[1].وهي الفئة التي بدا معها النقد العربي يشهد تطورا ملحوظا في العقد الأخير من القرن العشرين، وقد أخذ هذا التطور مظاهر متعددة لعل أهمها بروز الوعي النقدي ــ في البيئات الجامعية العربية و الأوساط الثقافية العربية ــ بالمناهج النقدية وتطبيقاتها ونظريات الخطاب وطرائق تحليله، مما ساهم باستمرار في وجود خطاب النقد و انتشار ثقافته، و عمل علي خلق تقاليد الحوار العلمي ودعم تعددية الرأي النقدي، حتى وإن ظل حظ هذه البيئات الجامعية و الأوساط الثقافية متفاوتا من بلد عربي لآخر.

---

[1] - محمد الأمين ولد مولاي ابراهيم، السرديات البوينتيقية ومشغل الدلالة، علامات في النقد الأدبي، المجلد9، الجزء 33، 1999/9 ص331.